

الفصل الأول - الباب الأول

المدن باتوا أكثر حضوراً سيما عائلة الحسيني في القدس التي جمعت أهم مركزين (مفتي القدس ونقيب الأشراف) الأمر الذي كان له تأثيره على الزعامة السياسية الفلسطينية بعدئذ. وتشكلت شرائح من البرجوازية الصغيرة بما تحمله من وعي سياسي وثقافي... وكانت ملكية الأرض في فلسطين حسب (القانون العثماني لسنة ١٨٥٨م: ١- ملك خاص وكانت أراضي الملك تشكل نسبة صغيرة من مجموع الأراضي المزروعة. ٢- الميري وهي الأراضي التي تعود ملكيتها للدولة. ٣- أراضي الوقف وهي نوعان: أهلي من أملاك الناس وخيري وأصلها أراضٍ أميرية وتذهب مداخيلها للوقف. ٤- أراضي متروكة وهي نوعان: ما لا يجوز تملكه كالطرق وما خصص لاستعمال الأهالي والمدن والأسواق. ٥- أراضٍ موات، وهي الأراضي البعيدة عن العمران... وهذا سمح للأعيان والتجار بتسجيل مساحات واسعة من الأراضي بأسمائهم بما عزز من المكانة الاقتصادية للنخب السياسية - الاجتماعية^(٨٧). ويوزع الدكتور مناع التركيب الطبقي في فلسطين على النحو التالي:

(فلاحون، اقطاعيون، عمال زراعيون، اقتان، برجوازية تجارية ومالية، بيروقراطية إدارية، بدو، رأس مال أجنبي ويهودي..)

أما عدد سكان فلسطين في (أواسط القرن ١٩ فكان ٣٥٠ ألفاً عاش أكثر من ٢٠٪ منهم في المدن و ١٠٪ بدو و ٧٠٪ في الأرياف، منهم ٨٥٪ مسلمون و ١١٪ مسيحيون و ٤٪ يهود. أصبح عدد السكان ٤٧٠ ألفاً في ١٨٨٠م وتزايد إلى ٦٥٠ ألفاً عام ١٩٠٦م وأكثر من مليون عام ١٩٢٢م. حيث ارتفع سكان المدن إلى أكثر من ٢٥٪^(٨٨).

إن اقتتال القبائل والتصارع بين العوائل الاقطاعية وسياسة التتريك لم تحل دون تنامي النزعة الوطنية التي لوحظت في مقاومة نابليون وأحمد الجزار والحكم العثماني، بل راحت ترتفع أصوات ثقافية تدعو للعروبة تأثراً بالأفغاني ومحمد عبده والكواكبي والطهطاوي.

وفيما تستنج الدكتور الحوت بعض سمات العهد العثماني (١- كانت السلطة مركزية إلى أبعد الحدود... الأستانة الكل بالكل، الأقاليم تأتي إليها الأموال وترسل لها... فلم يعرف الحكم اهتماماً لزيارة البلاد الشاسعة... وهذا فارق مع الأيوبيين والمماليك. ٢- لم يصعد العثمانيون للحكم من داخل المجتمع العربي الإسلامي، فقد كانوا حكاماً لبلادهم لمائتين وخمسين سنة، ولما جاؤوا لحكم البلاد الشاسعة حكموا حكماً مستبداً خصوصاً في المراحل الأخيرة. ٣- تخلى

(٨٧) د. مناع، عادل. المرجع السابق، ص ١٩١، ١٩٢.

(٨٨) د. مناع، عادل. المرجع السابق، ص ٢٠٨، ٢٠٩.